مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد 02 – العدد 02 - (2021)
الصفحات: من 121 إلى 135

التأليف المعجمي عند غير العرب : الدوافع والأسباب

Writing dictionaries for non-Arabs: motives and reasons

يمينة مصطفاي *

كلية الآداب واللغات ،جامعة البويرة

y.mostfai@univ-bouira.dz

تاريخ الإرسال: 2021/08/09 تاريخ القبول: 2021/09/07 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

عرفت حركت التأليف المعجمي عند غير العرب ظهورا سابقا، وتطوّرا لاحقا بداية مع الأمم القديمة، كالآشوريين والهنود والسريان واليونان و غيرهم ، وصولا إلى العصر الحديث حيث بلغ ذروة تطوّره وعرف قمة نشاطه .

ولن نضرب صفحا في أعماق التاريخ للبحث عن أقدم هذه المعجمات و أوّلها ظهورا ، لكننا سنكتفي بالإشارة إلى جهود بعض الأمم القديمة في هذا المجال محاولين إبراز بعض ملامح صورة البناء المعجمي عندهم، وحسنات معاجمهم وميزاتها التي حاول بعض من المحدثين تقليدهم فيها في معاجمهم اللّغوية العامة .

الكلمات المفتاحية: *تأليف معجمي، أمم قديمة،مستشرقين ،معجم تاريخي، معجم عربي أوربي.*

Abstract:

The movement of lexical composition among non-Arabs was known previously, and later developed, beginning with the ancient nations, such as the Assyrians, Indians, Syriacs, Greece and others, until the modern age, when it reached the peak of its development and knew the peak of its activity.

We will not turn a page in the depths of history to search for the oldest of these dictionaries and the first to appear, but we will be content with referring to the efforts of some ancient nations in this field, trying to highlight some of the features of the picture of their lexical construction, and the advantages and advantages of their dictionaries that some of the modernists tried to imitate in their general linguistic dictionaries.

Keywords: dictionary composition, ancient nations, orientalists, historical dicionary, Arabic-European dictionary.

.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

إن الاهتمام بوضع المعاجم أمر يتعلق بالمستوى الحضاري لأبناء اللغة ، فكثيرا ما تكشف المعاجم عن حضارة أصحابها ودرجة تقدمهم أوتخلفهم ،ومقدار ماحققوه من تقدم علمي يواكب التطورات الحديثة في المجال العلمي والتكنولوجي .

وبالعودة للتاريخ القديم نجد أن الأمم القديمة كانت شديدة الاهتمام بتأليف معاجم للغاتها لأسباب ودوافع مختلفة .فعرف التأليف المعجمي قبل العرب بقرون كثيرة .ولعلنا نتساءل ماهي الامم السباقة لوضع معاجم للغاتها ؟ وما هي الدوافع الخاصة لكل أمة ؟ وهل استوفت معاجمهم عناصر بناء المعجم سواء كان لغويا عاما أو مختصا ؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عليها لنتبين أهمية التأليف المعجمي في حياة الشعوب ولغاتها .

2. التأليف المعجمي عند غير العرب :

1.2. التأليف المعجمي عند الأمم القديمة :

1.1.2. التأليف المعجمي عند الآشوريين :

عرف الأشوريون المعاجم قبل العرب بأكثر من ألف سنة ، فقد ابتكروا معاجم خاصة بلغتهم ذات ترتيب يغاير ما عرف العرب من ترتيب، فالآشوريون خافوا على لغتهم أن تضيع فصنفوا معاجم دعتهم إليها الضرورة عندما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة،و استبدلوا به نظام الإشارات المقطعية أو الألفبائية ذات القيم الصوتية ، ولكن مع مرور الزمن أيهم(غمض) عليهم معرفة النظام الجديد ، فجمعوا مسارد (قوائم) ،وعرفوها بطريقتهم القديمة ، وأعانهم على ذلك أن لغتهم السومرية القديمة لم تكن قد انمحت بعد لأن الكهنة كانوا يستعملونها في شعائرهم الدينية و جمعوا ألفاظها في مسارد محفورة على قوالب الطين وأودعوها مكتبة أشوربانيبال الكبيرة التي كانت بقصر يونجيك في نينوى(625،668ق م) و قد وصل إليها الكشف العلمي فصارت مصدرا صحيحا لتاريخ الآشوريين. (أحمد عبد الغفور عطار،دت،ص40)

و إن مجيء الأشوريين إلى بابل كان من المؤثرات القوية في تأليف المعجمات ، فلغة الأشوريين سامية تختلف عن لغة السومريين، الأمر الذي أدى إلى تكييف علامات و إشارات الألواح الطينية السومرية لتلائم اللغة الأشورية العلامات و الإشارات السومرية، إذ بعض الألواح تحتوي على أربعة أعمدة تبين العلامة السومرية، معناها باللغة الأشوريةوشكل الكلمة (الصيغة) الأشوري ،(...)وخلاصة القول إن أصل فكرة وضع القاموس كان معروفا عند الأشوريين بحوالي ألف سنة قبل ميلاد المسيح (جون أ هيود،2004،ص21).

2.1.2.التأليف المعجمي عند الهنود :

بدأ التأليف المعجمي عند الهنود " في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدّسة " (أحمد مختار عمر،2003،ص 60) . على غرار كتب غريبي القرآن و الحديث عند العرب . " ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح معناه ، و يمكن أن يعتبر هذا العمل من نوع " معاجم الموضوعات " أو " معاجم المعاني " ، ثم ظهرت كتب لا تختص فقط بألفاظ النصوص المقدّسة بل تحتوي ايضا مجالات أخرى. وأقدم ما وصلنا منها معجم ظهر في القرن السادس الميلادي، أوقبله لمؤلف بوذي اسمه "أمار سنهاAmara sinha" وقد ضم هذا المعجم واسمه(Amara Kosa)جزءا ضم كلمات المترادفات ،وجزءا في كلمات المشترك اللّفظي و جزءا عن الكلمات غير المتصرفة ، والكلمات المذكرة أو المؤنثة أو المحايدة ، ويعيب هذا الكتاب و أمثاله أنه كتب في شكل منظوم ليسهل حفظه وأنه لم يتبع أي ترتيب ييسر اللجوء إليه و العثور على المراد منه بسرعة ، فيما عدا المشترك اللّفظي الذي رتب بحسب الحروف الساكنة في أواخر كلماته، ولا نجد عملا آخر يستحق الإشارة إليه بعد ذلك سوى معجم كتب القرن الحادي عشر الميلادي، وهو معجم ضخم رتبت فيه الكلمات أوّلا بحسب عدد مقاطعها ثم بحسب الجنس(مذكر، مؤنث)، ثم حسب الحرف الأول.(أحمد مختار عمر،2003،ص61).

إذن ما يمكن قوله إن التأليف المعجمي عند الهنود بدأ على غرار التأليف المعجمي عند العرب بداية دينية محضة كونه اتصل مباشرة بالنص المقدس الذي كان الدافع عندهم لأغلب الدراسات اللّغوية (صوتية، صرفية، نحوية...) وقد ظهر أيضا في صورته الأولى على شكل رسائل لغوية في موضوع لغوي معين كالمترادف أو المشترك اللفظي أو المذكر أو المؤنث و غيرها ، ولكنه يختلف عن نواة التأليف المعجمي العربي في الشكل الذي اتخذه حيث كان منظوما ليسهل حفظه، ولكنّ هذا النظم حرمه من ترتيب معين يمكن أن تأتي عليه مادته ليسهل الحصول على المراد منها .

ليظهر حسب أحمد مختار عمر معجما في القرن الحادي عشر الميلادي اتّبع أنواعا من الترتيب (بحسب عدد المقاطع ، ثم بحسب الجنس ثم بحسب الحرف الأول) .

والملاحظ أيضا أن الدافع الديني كان الأساس الأوّل للتأليف المعجمي، ثم تجاوزه العلماء إلى الدافع اللّغوي عامّة . ومن الإنصاف القول بأن القرن الثاني عشر(الميلادي) كان من أنشط الفترات بالنسبة للمعجم الهندي ، علما أن العرب قد وضعوا بعض قواميسهم الرائعة في هذا القرن – القرن الثاني عشر أيضا - (جون أ هيود، .2004،ص25) .

3.1.2.التأليف المعجمي عند الصينيين :

لعل أول محاولة منظمة للتعريف بالأشكال التعبيرية كانت العمل المسمى Eah ya ، الذي يمكن أن يؤرخ بالفترة ما بين 200 ق م وميلاد المسيح، و هو أشبه بمعجم من معاجم المعاني التي توزع الكلمات تحت موضوعات أو معان مختلفة (أحمد مختار عمر،2003،ص74) .وهي في الحقيقة مفردات

مصنفة، وكانت تلك الإشارات والكلمات مجموعة تحت ثلاثة عشر عنوانا"كالروابط الأسرية" و"الأواني"و"الطيور"مثلا.(جون أ هيود،2004،ص21).

فالصينيون على غرار الهنود و اليونان قد عرفوا المعاجم قبل العرب ، " و أقدمها معجم اسمه يوبيان Yupien ، و ألفه كوبي وانج KuYe Wang و طبع سنة 530 بعد الميلاد ، و معجم آخر اسمه شوفان Shwo Wan ، تأليف هوشن Hu Shin و هما أساس معاجم الصين و اليابان (أحمد عبد الغفور عطار،دت،ص 40-41) . و يذكر جون . أ . هيوود أن " أقدم قاموس حقيقي في اللغة الصينية هو " شو فين Shwo ven " ل هيوشن Hsushen الذي ألفه في نهاية القرن الأول الميلادي ، و رغم كونه يشرح حوالي 10600 كلمة ، إلا أنه لم يكن مستفيضا ، في مجمله .(جون أ هيود،2004،ص21) .

وبعد ذلك ظهر نظام جديد للمعاجم الصينية رتبت فيه الكلمات صوتيا، تبعا لنطقها، فكل الكلمات ذات الصوت الواحد تعالج في باب واحد بغض النظر عن اختلاف طرق كتابتها ، و أوّل معجم صيني يتبع هذا النظام هو معجم Hu Fa Yen الذي كتب بين عامي 571،601م(أحمد مختار عمر،2003،ص 74-75) . يقول عنه جون.أ.هيوود:".و بذلك ظهر قاموس من نوع جديد حيث رتب فيه الكلمات على وفق أصول النطق وبالنسبة لأصواتها، فالكلمات ذات الصوت الواحد قد وضعت ضمن باب واحد ، دونما اعتبار لصيغ رسمها المختلفة،

و يعد " هوفاين Hufayen " أول من استعمل الترتيب الصوتي لكلمات قاموس ألف بين (581م و601م)، ولعل الجانب الصوتي في التأليف المعجمي الصيني يعود إلى تأثرهم بالدراسات الصوتية عند الهنود،ويبدو أن الصينيين مدينون جدا إلى أثر اللغة السنسكريتية الذي نقله الرهبان البوذيون،فمنهم تعلم الصينيون ترتيب أصوات الكلمات بالنسبة لأعضاء النطق المستعملة في نطقها(...)وهكذا وضعت قواميس كبيرة كانت قد تمت في الغالب برعاية ملوك الصين ، و قد بلغت أوج كمالها بقاموس " كانك هسي Kang - Hsi " في سنة 1717 ،(جون أ هيود،2004،ص23) .

ونخلص من هذا إلى أن " دراسة النصوص البوذية و اللاؤسية كانت مؤثرا قويا في وضع المعجمات الصينية وقد كان للأدب الهندوسي ذي الطابع الديني القديم الدور ذاته في اللغة السنسكريتية وكذا الحال بالنسبة لليونان ، فإن الملاحم القومية القديمة كانت تتمتع وقتئذ بأهمية شبه دينية .

4.1.2.التأليف المعجمي عند اليونانيين :

يعتبر العلماء القرون الأولى بعد الميلاد العصر الذهبي للمعاجم اليونانية وبخاصّة في مدينة الاسكندرية، وأكثر من وضعوا المعجمات من علماء جامعة الاسكندرية في عهد البطالسة وبعدهم ، وكان بعض هذه المعاجم خاصا مقصورا على مفردات بعض الخطباء أو المفردات الواردة في كتب أفلاطون الفلسفية أو الخطباء(...)أو كتب أبقراط الطبية ، وبعضها لغوي (...) وأقدم المعجمات

اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس Yulius Pollux و هو كالمخصص لابن سيده مرتب على المعاني والموضوعات ،

ومعجم هلاديوس Helladius السكندري،وكان في القرن الرابع ميلادي ، وترتيبه ألفبائي (أحمد مختار عمر،2003،ص 63-65) .

و يذكر أحمد مختار عمر في كتابه " البحث اللّغوي عند العرب " معجم أبي قراط Hippocrate الذي ألّفه Glaucus عام 180 ق.م ، وهو معجم ألفبائي (أحمد مختار عمر،63،2003) .. كما يذكره أيضا جون.أ.هيوود [1] بمعجم هيبوكراش Hippocrates lexikon لمؤلفه كلوكس Clucus على اعتبار أنه أول قاموس يذكر مرتب على حروف الهجاء عند اليونان ، و يرجع تاريخه إلى سنة مئة و ثمانين قبل الميلاد. و لكن العصر الذهبي بالنسبة للمعجم اليوناني يرجع إلى القرون الميلادية الأولى و خاصة في الاسكندرية .

وظهر في عهد الأمبراطور أغسطس معجما ،(...) وعنوانه " في معاني الألفاظ "وما يزال موجزه باقيا حتى الآن ، و ألّف هزيشيوش Hesychius في القرن الرابع ميلادي معجم " اللّهجات و المحليات " ومعجم " ما اتفق لفظه و اختلف معناه " ، لأمونيوس السكندري Ammonius ، ووضع أريون الطيبي Arion of the bes – وهو من أهل طيبة في مصر،عاش بين 390 ، 460 بعد الميلاد – معجما في الاشتقاق (أحمد عبد الغفور عطار،دت ،ص42) .وغيرها كثير .

ومما يجب الإشارة إليه في الصدد أن هذه القواميس ليست كاملة، غير أنها صممت لتشرح الكلمات الشاذة - النادرة – فضلا على أن التعريفات واستشهادات المؤلفين التي تضمنتها بقيت مقتضبة جدا علما أنها دونت وفق النظام الأبجدي الحديث فأول قاموس يوناني واسع الانتشار هو القاموس الذي وضعه سويداس (Suidas) في القرن العاشر الميلادي .(جون أ هيود ،2004،ص 27-28) .

5.1.2.التأليف المعجمي عند السريان :

احتكّ السريان باليونان منذ القدم وإن السبب الرئيس لشهرة السريان هو نقلهم المعارف من الإغريق إلى العرب (...) و كان المعجميون السريان يهدفون إلى شرح الألفاظ الدينية و لا سيما الألفاظ ذات الأصل الإغريقي (...) و كانوا على اطلاع باللغة العربية ، إذ ظهر عدد من مسارد الألفاظ بالسريانية والعربية، وقد استعملوا نظام التهجي الحديث منذ البداية ، و يعد (أبو زيد حنين بن إسحاق المتوفى سنة 873م) المترجم المعروف للنصوص الإغريقية (اليونانية) واضع أول قاموس باللغة السريانية لشرح ما فيها من ألفاظ إغريقية، وإن أشمل وأشهر قاموس سرياني هو القاموس الذي وضعه (بر بهلول Bar Bahlul) في القرن العاشر، وقد وصف بأنه ضرب من دائرة المعارف (...) وفي القرن الحادي عشر ألف (إلياس بر شيناي Elias bar shinöya) مجموعة مفردات بالعربية و السريانية و قد كان هذا

العمل أساسا لمعجم (توماس نوفاريا Thomas Nouvaria) الموسوم ب : (thesaurus Arbico - Syrolainus)(القاموس الموسوعي العربي السريانياللاتيني)المطبوع عام 1636م.(جون أ هيود،2004،ص 211-212) .

6.1.2. التأليف المعجمي عند العبرانيين :

عزا مؤرخو اللغويات المقارنة بداية الدراسات السامية المقارنة إلى اليهود الذين عاشوا في كنف الأقطار العربية الإسلامية ، و من بينهم سعيد بن يوسف الفيومي (945 م) الملقب بـ" سعديا " وسعيد الفيومي ويذكر أيضا باسم" سعديا كاؤون Essadia Gaon سعديا بن يوسف الفيومي (...) وهو مؤلف شروح العهد القديم وأدب المناظرة و أعمال نحوية ومعجمية أخرى، وقد وصف بأنه " مؤسس النشاط العلمي في اليهودية " (جون أ هيوود ، 2004، ص 209) .عاش ببلاد العراق، واستطاع بفضل تمكنه من دقائق العربية ترجمة التوراة و كتب الحكمة إلى اللغة العربية ، واشتهر في ترجمانه بانتقائه لأقرب المفردات العربية من نطق اللفظة العبرية.(خالد اليعبودي،2010،ص05) (...) و تتلخص جهود سعيد الفيومي المعجمية فيما يأتي :

1 – عمل معجم سمي Agron ، وقد اجتاز تأليف هذا المعجم مرحلتين اثنتين ، فقد ظهر أولا في معجم عبري خالص مرتب هجائيا تبعا لبدايات الكلمات و نهايتها ، وكل مادة كانت توضح فيه باقتباسات من الكتب المقدّسة، وكان غرض المؤلف مساعدة الشعراء الدينيين في نظم القصائد من النوع المسمّى Acrotics - هي قصائد إذا جمعت أوائل حروف أبياتها كانت اسما أو جملة " (...)و في العثور على قواف مناسبة لقصائدهم(...)وقام بإضافة ترجمة عربية للكلمات موضوع البحث ، كما كتب لمعجمه مقدمة عربية و وضع له عنوانا جديدا هو " كتاب الشعراء " على غرار كتاب التقفية للبنيدجي عند العرب وغيره .

وأخرج سعيد الفيومي عملا معجميا ثانيا تتمثل قائمة مفرداته في الكلمات التي وردت في الكتاب المقدّس مرة واحدة ، و المفردات في هذه القائمة ليست مرتبة بأي شكل ، و قد أضيفت إليها تعليقات وشروح و ترجمة عربية لبعض الكلمات. (أحمد مختار عمر،2003، ص 70 -71) .

وهناك أعلام أخرى يهودية بلغت هذا القرن، مثل: داود بن إبراهيم الذي كان من مواطني مراكش، وقد ألف معجم يشبه معجم سعيد الفيومي (...) ، و أبو الفرج هارون الذي أتم عملا لغويا ضخما عام 1028م و أسماه " الكتاب الشامل في الأصول و الفروع للّغة العبرية " ، و يحتوي هذا الكتاب على ثمانية أبواب تعالج الستة الأولى منها مسائل نحوية ، و السابع يشكل معجما ، في حين أن الأخير يعالج الكلمات الآرامية الموجودة في الإنجيل، وفي الجزء المعجمي كان يأخذ الأصل الثلاثي ويناقشه وبعض معانيه المختلفة و استعمالاته، ثم بعد ذلك يعيد ترتيب حروف الكلمة بشكل آخر

ويفعل ما سبق فعله ، وهكذا يقلب الكلمة على احتمالاتها الواردة في اللّغة. (أحمد مختار عمر ،2003، ص 73).

و تجدر الإشارة إلى " أن أهم الأعمال التي قدمت [من قبل اليهود] لم تظهر إلا بعد اختلاطهم بالعرب خوفا من اندثار لغتهم لانصراف الناس عنها وتعلمهم اللّغة العربية (أحمد مختار عمر ،2003، ص 68).

وفي العصر الحديث عرف التأليف المعجمي عدة نشاطا فألفت معاجم ثنائية اللغة (عبرية عربية) ، ومعاجم عبرية محضة ، و معاجم مترادفات و معاجم مفهرسة و معاجم التعابير الاصطلاحية و المعجم التاريخي للغة العبرية و غيرها .(خالد اليعبودي،2010،ص8) .

2-2. التأليف المعجمي عند المستشرقين :

اقتدى المستشرقون في دراساتهم المعجمية على هدي النماذج أو الأساليب العربية إلى مدى بعيد ، ولاسيما (الصحاح) و (القاموس) ، فيما يتعلق بمحتوياتها على الرغم من أنهم (أي المستشرقين) قد تبنوا بصورة طبيعية الترتيب الحديث. (جون هيود ،2004،ص213) .

1.2.2. هو جاكوب كوليوس Jocobus Golius) 1096 هـ – 1667م .

يعتبره العلماء المؤسس الحقيقي للمعجمية العربية في أوربا حيث بدأ (كوليوس) دراسته باللاهوت فالطب فالفلسفة فالرياضيات فاللغة اللاتينية ، واتجه بعد ذلك على دراسة اللغة العربية، (...) ونشر معجمه في العربية واللاتينية Lexico arabico latinum في لايدن عام 1653م في مجلد واحد،وقد اعتمد في هذا المعجم بصورة رئيسة على (الصحاح) معيدا ترتيبه على وفق نظام القاموس الحديث ، ورجع أيضا إلى معجمات كثيرة أخرى مثل (القاموس) ، و (أساس البلاغة) ، و(المجمل) (...) واستمر قاموس "كوليوس Golius"في هذا الحقل لمئة وخمسين سنة، حتى ظهر قاموس "فريتاج"Freytag "وفي الوقت نفسه، نشر الكثير من القواميس متعددة اللغات بضمها اللغة العربية(اللغة العربية في مقابل لغة أخرى) ، ومنها(...) قاموس (كاستل Edward Castell) (1608 - 1685) في "كيمردج" متعدد اللغات بضمنها اللغة العربية.(جون هيود،2004،ص213-214) .

2.2.2. المعجم العربي اللاتيني : Lexico arabico latinum :

صاحبه جورج فيلهام فريتاج 1788- 1861 نشر ما بين 1830و1837م ، وهو في الأساس ترجمة (للقاموس) بعد إعادة ترتيبه (...) وحل قاموس (فريتاج) بوصفه مصدرا معترفا به و ذا قيمة محل قاموس (كوليوس) بين المستشرقين الأوربيين(...). و يرى جون.أ.هيوود أن معجم فريتاج " يعاني من العيب نفسه الذي في القاموس، ولا يلبي حاجات الطلبة الأوربيين، فهو مجرد قائمة ألفاظ مع معانيها ،في حين أن المطلوب هو معجم (كلسان العرب) – لسان أوروبي– لا يقف عند حدود ذكر معاني الألفاظ بوضوح تام فحسب ، بل يشفعها بشواهد كثيرة مستمدة من الأدب ، و هو المعجم

الذي لا يذكر دلالات بعض الألفاظ النادرة ، بل يتجاوزها إلى الاستشهاد بالشعر القديم جدا ، إذ يستطيع القارئ أن يعود إلى قاموس يقابله .(جون هيود ،2004،ص 215) .

و رغم اعتداد جون.أ.هيوود بلسان العرب إلا أن أغلب معاجم المستشرقين لا تعتد به و لا تجعله أساسا لها بل تجعل الصحاح أو القاموس أو تاج العروس ،و هذا ما حاول **إدوارد وليم لين (Edward William Lane)** فعله في قاموسه .

3.2.2. معجم لين Lane (1801 - 1876) " مد القاموس " .

كانت رحلات لين إلى مصر الأساس لبداية تأليفه المعجمي حيث " كانت زيارته الثالثة لهاما بين 1842 وسنة 1849 ،مع غاية معلنة لجمع مادة لوضع قاموس عربي متكامل ،على أن تكون تعريفاته باللغة الإنجليزية بدلا من اللاتينية كماهي الحال مع قاموسي(كوليوس Golius)و(فريتاج Freytag).وفي إحدى زياراته السابقة لمصر علم"لين Lane "بوجود مخطوطة (تاج العروس) الذي يعد من أغزر القواميس في العربية ليكون أساسا لمعجمه " فاختلف بذلك عن سابقيه في الاعتداد باللغة الانجليزية دون اللاتينية ، وفي جعل معتمده و أساسه هو "تاج العروس للزبيدي" ،حتى يكون معجما أوسع وأشمل و أكبر .

وإدراكا منه لجسامة جهده ، قرر تقسيم معجمه على كتابين ، على أن يشتمل الأول و هو الأكبر إلى حد ما الجذور الشائعة (أو المألوفة) و على أن يشتمل الثاني الجذور النادرة أو بعبارة أخرى على أغلب الجذور الرباعية و الخماسية .(جون هيود،2004،ص 216) .

4.2.2. المعجم التاريخي ل »أوكست فيشر « Augus Fisher :

لعل الحديث عن المعجم التاريخي في العربية هو عبارة عن حديث عن مشروع للمعجم التاريخي وليس عن معجم أو كتاب يضم ما يجب أن يتوفر فيه،و لعلّ أوّل محاولة يذكرها أغلب الباحثين والعلماء هي محاولة العالم الألماني فيشر الذي عمل و لم تسعفه الظروف و لا حياته على وضع معجم تاريخي كامل للّغة العربية ، وذلك في أحضان مجمع اللّغة العربية في القاهرة ، لكن حلول الحرب العالمية الثانية ، ثم ابتعاد فيشر عن القاهرة ووفاته بعد ذلك حال دون استكمال المشروع ، وبقي أملا يحدو المجمع يسعى إلتحقيقه اعتمادا على خطة فيشر التي وضّح فيها أهم الميزات و سمات المعجم التاريخي للّغة العربية ، واكتفى بعدها بأن يسميه " المعجم الكبير " تاركا للزمان استكمال الوسائل الضرورية لوضع المعجم التاريخي و استطاع عام 1956 أن ينشر منه جزءا في نحو 500 صفحة . (ابراهيم مدكور،1963،ص 200) .

ولكن رغم عدم وجود هذا المعجم في الواقع اللّغوي العربي إلا أنني آثرت أن أعرض أهم خصائص بنائه عند فيشر و غيره ممن يدعون إليه وهو قد أصبح اليوم ضرورة ملحة في حياة و تاريخ اللّغة العربية، وسنحاول استخراج هذه الخصائص من دراسات حول مقدمته لتبيين منهجه و خطته.

لعل أهم شيء ركّز عليه فيشر في تصوّر المعجم هو احتواؤه كل كلمات اللّغة العربية عبر تاريخها الطويل جدًّا ،" فحدد الزمن الذي يدور فيه البحث بقوله " فالمعجم يتناول قدر الإمكان بحث تاريخ الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئا بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة في القرن الرابع ميلادي (ق4 م) ، و منتهيا بالعهد السابق ذكره (نهاية القرن الثالث الهجري أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللّغة العربية الفصحى من كمال"(..). يجب احتواء المعجم على كل كلمة وجدت في اللّغة بلا استثناء ، و أن تعرض حسب وجهات النظر السبع التالية : التاريخية ، الاشتقاقية ، التصريفية ، التعبيرية ، النحوية ، البيانية و الأسلوبية) . "(حسين نصار،1988،ص 26-27)

وبالتالي فإن هذا المعجم سيضم كل كلمة وجدت في اللّغة العربية بلا استثناء ،أي : الفصيح،المولّد ،الحوشي، المستنكر، الغريب، العامي، الدخيل، المعرّب... وترصد هذه الكلمات منذ أوّل ظهور لها واستعمالها بداية من فترة نقوش النمارة (ق 4م) إلى القرن (10م) هذا، و لعل الفترة الأولى التي حددها فيشر وهي ما قبل القرن الثالث الهجري ، هي التي يصعب الإحاطة بها لما تحتاجه من بحوث تغوص في اللّغة العربية القديمة، مع ما يستجد من نتائج علماء التاريخ والكتابة ، وتصعب أيضا بعد فترة الاحتجاج اللّغوي التي أقصت عددا كبيرا من استعمالات اللّغة ، ملغية مبدأ التطور اللّغوي رافضة المولّد ، و تصعب أكثر بكثير بعد نهاية مرحلة التأليف المعجمي القديم لأن مرحلة التأليف المعجمي الحديث في عمومها لم تكن تسعى إلى تغطية اللّغة المتداولة و المستعملة في هذا العصر بقدر ما كانت تحي و تستند إلى لغة التأليف المعجمي القديم ، فألغت هي الأخرى بذلك عددا كبيرا من كلمات اللّغة باعتبارات مختلفة ...

وإن كانت للمعجمات القديمة مبرّرات علمية مقبولة أساسها الحفاظ على اللّغة من الضياع ، خاصة أنها كانت في مرحلة التأسيس للتأليف المعجمي و إن بلغت فيه مرحلة متطورة جدا . فإن المعجمات الحديثة لا مبرر لها سوى الخوف من اللّغة وليس على اللّغة ، فلم يكن لها من سبيل تتبعه سوى التقليد .

بالإضافة إلى تحديده مجالات النظر إلى هذه الكلمة وهي النواحي التاريخية، الاشتقاقية و غيرها.

لقد شرح فيشر في مقدمته النقص الظاهر في المعجمات العربية السابقة الذي يرجى لأجله تأليف معجم جديد كبير ، و رآه يتركّز في أن " المعجمات التي صنفها العرب لم تجمع كل كلمات اللّغة العربية بل جمعت الفصيح منها فقط " (أحمد مختار عمر،2003،ص 317) .و بالتالي فإنها أهملت مستويات اللّغة المختلفة و ركّزت على مستوى واحد منها وهو الفصيح .

وهو يدعو من خلال معجمه إلى أن " منتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجما تاريخيا ، ويجب أن يحتوي هذا المعجم التاريخي على كل كلمة تداولت في اللّغة ، فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها ...

ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه ، إذ إنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللّغة ".(أحمد مختار عمر،2003،ص 317). و قد أوضح حسين نصار في كتابه ميدان بحث هذا المعجم و مادته ومصادره و مراجعه وشواهده و ترتيبه و شروحه ، و كلها يتقارب فيها مع أغلب المعاجم اللّغوية العامة ، إلا أنه يتميز في الشروح بالآتي : " يتبع الشرح العربي للكلمات شرح مختصر بالانجليزية وآخر بالفرنسية (...) إذ إن إيراد الكلمة بالانجليزية و الفرنسية المقابلة غالبا ما يوضح المعنى ويحدّده أكثر مما لو كان الشرح قاصرا على العربية ".(حسين نصار،1988،ص 589-590) .

وبالتالي " فإن المعجم التاريخي المنشود للّغة العربية سيكون معجما تأصيليا و تاريخيا مقارنا في آن واحد، وهو بهذا التصوّر يحتاج إلى درجة عالية من التخصص في اللّغة، وفي اللّغات السامية واللّغات غير السامية التي اتصلت بها اللّغة العربية عبر مراحل حياتها حتى الآن ، يضاف إلى ذلك حصيلة من النصوص الأدبية واللّغوية والدينية والعلمية منذ أقدم العصورالعربية حتى اليوم " (محمد حلمي خليل،1998،ص 422) .وهذا ما يفرض وجود مدّونة لغوية مجّمعة إذ يقول عبد الرحمان الحاج صالح : " كيف يمكن يا ترى أن تستخرج مدلولات الألفاظ المختلفة عبر العصور إن لم يلجأ إلى هذه الذخيرة الآلية الحاسوبية ،وقد يستطيع الباحث إن قلت النصوص في عصر من العصور كالجاهلية -مثلا- أن يفترض وجود بعض المدلولات لبعض الألفاظ في هذا العصر بفضل تحليلاته للسياقات القليلة التي ورد فيها ، ولكن كيف يمكن أن يستدل على ذلك إذا عدّت النصوص بالملايين ابتداء من القرن الثاني الهجري و ما بعده ؟ وكيف يمكنه أن يستخرج هذه المدلولات من النصوص بدون أن تكون لديه وتحت تصرفه مجمّعة مدوّنة محسوبة مندمجة ؟ (عبد الرحمن الحاج صالح،1994،ص 96) .

ثم يضيف ما يدعّم المعجم و مواده قائلا : " و مهما كان الأمر فإنه لا يتصور أن يوضع معجم في اللّغة بدون توثيق لما يتضمنه من ألفاظ و دون أن يعرف من أين استقيت ، فهل هي ألفاظ وضعتها جماعة من العلماء واقترحها صاحب المعجم،أم هي مفردات وردت في الاستعمال بالفعل ؟ وهذا ما قد حققه علماؤنا قديما و كانوا يوثقون ذلك بأكثر من شاهد ، فلماذا نتراجع نحن اليوم عن هذه الميزة العلمية التي ينبني عليها كل عمل و كل بحث علمي ،(عبد الرحمن الحاج صالح،1994،ص97) . و بهذا يعطي للشواهد قيمتها الحقيقية في إثبات نسبة هذه الكلمة إلى اللّغة فهي الدليل على استعمالها وتداولها بين أهل اللّغة ، لذا لا يمكن إهمالها و لعل مشروع الذخيرة اللّغوية هو الحل الأمثل و المرجع الأول لتحقيق هذا الأمر في المعجم التاريخي .

فمادة المعجم مستمدة من النصوص المختلفة الموجودة في المدوّنة اللّغوية التاريخية التي توضح بشواهدها المختلفة عبر العصور مختلف المعاني و الاستعمالات للألفاظ والعبارات و تتتبع تطوّرها من مرحلة إلى أخرى وصولا إلى دلالاتها الحاضرة .

وهكذا ظل المعجم التاريخي للّغة العربية حلما لم يتحقق حتى الآن ، و لعلّ العذر الوحيد في ذلك أن مثل هذا المعجم للّغة العربية يختلف عن عمل أي معجم تاريخي لأي لغة أخرى لأن اللّغات الأوروبية التي ظهرت بها معاجم تاريخية لغات صغيرة السن حديثة الميلاد، أما اللّغة العربية فمن أطول اللّغات الإنسانية عمرا تقلبت فيها بين ظروف شتى تاريخية و جغرافية وحضارية ودينية وعلمية وفكرية وأدبية وغيرها (محمد حلمي خليل،1998،ص426) ، ونستطيع أن نقبل هذا العذر ، ولكن يمكننا العمل على وضع معاجم تاريخية مرحلية تحقق العربية في عصورها المختلفة، كل عصر على حدا، على الأقل تلك العصور التي تركت لنا تأليفا لغويا غير محدود بداية من القرن الأول هجري ، وبل العصر الجاهلي الذي وصلنا منه كمّ معتبر من اللّغة المستعملة المبثوثة في الشعر والنثر العربيين القديمين . فيكون الناتج عنها معاجم عصر معين.

ويضاف إلى هذا العمل عمل آخر على قدم المساواة مع السابق وهو عمل معاجم للمستويات الاستعمالية اللّغوية المختلفة (فصيح ، عامي ، دخيل ، معرّب ...) فيكون الناتج معاجم مادة معينة ، ومجموع العملين يحقق لنا شيئا فشيئا المعجم الكامل و التاريخي للّغة العربية .

ويقول المستشرق الألماني رينهارت دوزي في مقدمة كتاب " المعجم المفصل في أسماء الملايين عند العرب " الصادر سنة 1845 : " عندما أتحدث عن معجمي عربي ، فإنّني أعني معجما يعرّفنا بوضوح و دقة كلما طلبنا فيه المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله بمختلف الدلالات [المستحدثة] التي طرأت عليه في جزيرة العرب و بلاد فارس و الشام و المغرب ...إلخ، (...) و هو معجم يرسم لنا بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتمادا مستمرا تاريخ كل لفظ وعبارة ، ويميّز بين المعاني الخاصّة بكل لفظ في مصر عربي ما، والمعاني التي تفيدها في مصر آخر، بين مدلول كل لفظ عند الشعراء ، ومدلوله عند الناثرين ، ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسرة تفسيرا منهجيا ، لكنني أعيد القول بأن الزمن الذي يمكننا فيه وضع مثل هذا المعجم لا يزال بعيدا ، وفي انتظار أن يحين يمكننا التقدم بالتأليف المعجمي بثلاث طرق :

- أولاها هي كتابة حواش معجمية شرحا [لألفاظ] مصنّف ما، أو بتذييل نص ينشر محققا لأحد المؤلفين بمسرد لغوي يكون مستدركا على المعجم (...) و هي الطريق المتبعة لحد الآن

-و ثانيها هي جمع ألفاظ مجال بعينه .

-و ثالثها هي الاقتصار على تدوين لغة عصر بعينه أو مصر معين (ابراهيم بن مراد ،1987،ص199) .

وقد قدمت اقتراحات كثيرة و أقيمت ندوات و مؤتمرات دولية حول الموضوع و لعل آخرها هو المؤتمر الدولي حول المعجم التاريخي للغة العربية الدي انعقد بفاس العاصمة العلمية للمملكة المغربية و دلك أيام :8-9-10 أفريل 2010.

5.2.2. المستدرك على المعاجم العربية : Supplément aux dictionnaire arabes لرينهارت دوزي ت 1883 ، ط 1 = 1881 .

كان دوزي يأمل في وجود معجم كامل شامل تاريخي للّغة العربية ، وكان يرى بأنه صعب التحقيق والإنجاز ، لكنه لم يكتف يتصوّر منهجه و مادته و بناءه العام ، بل كان يحاول أن يوجد لبنات لهذا المعجم المنشود بما اقترحه من طرق تحقق خطوات نحو الأمام و نحو هذا المعجم ، منها الاستدراكات على المعاجم العربية أو جمع ألفاظ مجال بعينه أو تدوين لغة عصر بعينه أو مصر بعينه ، وقد كان نشاطه بارزا خاصة في الطريقتين الأولى و الثانية ، و " قد كان حريصا على تدوين ملاحظاته و استدراكاته المعجمية على المعاجم العربية و معاجم المستشرقين الثنائية اللّغة [و غيرها] وقد تجّمع له أثناء هذه المرحلة التي استغرقت حوالي أربعين سنة من البحث و التنقيب رصيد معجمي جديد وافر كانت خلاصته " المستدرك على المعاجم العربية " (... و الكتاب في الحقيقة هو إضافة مهمّة جدا إلى المعجم العربي لا نعرف أن أحدا من العرب أو المستشرقين أو من العرب المحدثين قد أتى بمثلها و هو معجم ثنائي اللغة (عربي ، فرنسي) " .(ابراهيم بن مراد ،1987،ص201) .

لعل أهم ما يتميز به دوزي في تصوره للمعجم العربي هو نظرته التجديدية التطوّرية للّغة ، فهو يعيب " على أصحاب المعاجم القديمة و بعض الحديثة (...) [على الصفة الغالبة عليهم] على السواء الصفوية المفرطة أحيانا في جمع اللّغة و تدوينها ، و ذلك مخالفة في نظر دوزي لقانون التطوّر ، فاللّغة العربية لم تصبح لغة حيّة بحق تعبّر عن مستحدثات العلم و الفن والحضارة إلا في نهاية عصر الاحتجاج .أي في القرن الرابع للهجرة [أضف إلى ذلك] أن جزيرة العرب ليست هي التي مدّت العربية بطاقاتها الجديدة، بل الأمصار و لذلك وجب تدوين المولّد والمستحدث من الألفاظ والعبارات والدلالات الجديدة التي طرأت على الألفاظ القديمة في مختلف الأمصار الإسلامية وفي مختلف العصور. (ابراهيم بن مراد،1987،ص203) .

فهو يلغي بذلك الحدود الزمانية و المكانية للّغة ويؤكد على أهمية الاستعمالات اللّغوية التي بتوزعها مستويات مختلفة من فصيح و مولد و مستحدث و عامي و معرب و دخيل و غيرها تعبّر تعبيرا صادقا عن واقع اللّغة و تطوّرها الذي يواكب تطور الحياة بكل ما تحمل من جديد يجمل هو الآخر معه جديدا في الدلالة بالتالي في الألفاظ .

" و اهتمام المؤلف بهذه المستويات يدعو إلى إبداء ملاحظتين :

أولاهما هو أنه دال على مناهضة المؤلف للصفوية اللّغوية انطلاقا من مبدأ أن اللّغة تتطور بتطوّر المجتمع و تطوّر حاجات المجموعة التي تتكلمها .

و ثانيهما هي أن اهتمامه بهذه المستويات ليست لخصوصيات لسانية مميزة لها بل لأنها عناصر أساسية في المعجم متممة لرصيد اللّغة الأصلي أي الفصيح.(ابراهيم بن مراد ،1987،ص 203) .

فكان له معجمه الذي وضعه مستدركا على المعاجم العربية كل ما أهملته من مواد لغوية في القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري و كل ما أهملته أيضا من لغة الأمصار و ما تحمله من مستويات استعمالية لغوية مختلفة هي جزء مهم من اللّغة ، و هو لذلك " أوّل معجم يقرّ بما للغة الأمصار الإسلامية من دور في إثراء اللّغة العربية و ينطلق من مبدأ أن الفصاحة فصاحات و أن اللّغة العربية كغيرها من اللّغات كائن حي متطوّر ، و أن معجم اللّغة العربية كشف مفتوح لا يمكن أن ينغلق على لغة عصر بعينه أو مصر بعينه (...) و كان دوزي مؤرخا قبل أن يكون معجميا، ولكنّ عمله – رغم بعض المشاكل–قد فتح للمعجمية العربية بابا جديدا لم يكن لها به سابق عهد .(ابراهيم بن مراد ،1987ص 216)، و قد تناول إبراهيم بن مراد المعجم ناقدا إياه في جوانب مختلفة منها مصادره المعتمدة،و مستوى الوضع في المعجم مركزا على اثنين من مظاهره وهما الترتيب و التعريف ، وطرق معالجة الألفاظ المعجمية و المعرّبة و غيرها .

ليصل إلى خاتمة دراسته وهي أن قيمة الكتاب في مستوى الجمع أكثر بكثير من قيمته في مستوى الوضع [على عكس المعاجم الأخرى السابقة له كلّه تقريبا] ، (ابراهيم بن مراد ،1987،ص203) .

ويبقى حلم ابن منظور في مقدّمة " لسان العرب " بالجمع بين الحسنين (الوضع والجمع) مفقودا قديما ، و لا يزال كذلك حديثا .

6.2.2. معاجم للغة العربية لها أهميتها في أوربا و أمريكا : (محمود فهمي حجازي،2003،ص 265-266) .

1 – ألف خوليوس معجما عربيا لاتينيا في مجلد واحد (1653)

Golius , Lexico Arabico – latinum

2 – أعد فريتاج معجما عربيا لاتينيا في 4 مجلدات بالاعتماد على القاموس المحيط Freytag 1837 Lexico Arabico Arabico – latinum . 4 vols .Halle

3 – أعد لين معجما كبيرا للعربية الفصحى مع الانجليزية طبع منه 8 مجلدات و وقف قبل حرف الكاف وسبق ذكره .

Lane , Arabic English Dictionary , 8 vol , London , 1893 – 1863

4 – ألف دوزي المعجم المكمل للمعاجم العربية في مجلدين مع المقابل بالفرنسية .

Dozy , supplemnt aux dictionnaires arabes 2 vol , Paris , Leiden , 1881 و سبق ذكره .

5 – أكمل فانيا عمل دوزي بمزيد من الإضافات .

Fanan , Additions aux dictionnaires arabes , Alger , 1923.

6 – أعد تريفير معجما للعربية الفصحى المعاصر مع المقابل بالألمانية طبع عدة مرات مع إضافات وترجم إلى الإنجليزية .

Wlhr , Hons , Arabiches wörterbuch für schifs prache Gegenwart , 1945 .

7 – و أعظم معجم تناول الاستعمال المعاصر للعربية الفصحى هو ما قام بوضعه العالم الألماني هانس واهر Hans Wehr و عنوانه :

Arabisches Worterluch Furdie Schriftspracheder geganwart

(Munster 1952) .

ونقله على الفور إلى الانجليزية الأمريكي كوان Milton Cowan . J و ضم إليه الاضافة و سماه A dictionary Modern Written arabic wiesbaden , 1961

وقد جمع هذا المعجم بين ما اشتمل عليه معجم Berchen و معجم Pellat و غيرهما ، واعتمد صاحبه أيضا على مدونة اشتملت على عدة نصوص مما أنتجه طه حسين ومحمد حسين هيكل و توفيق الحكيم ومحمود تيمور و جبران خليل جبران و أمين الريحاني و غيرهم . و كذلك الكثير من المقالات التي نشرت في الصحف و الدوريات وغير ذلك.

وعموما يمكن القول إن التأليف المعجمي للعربية في أوربا وأمريكا له تاريخ طويل منذ قرون خلت، ويعود أشهرها إلى القرن السابع عشر، ولم تتوقف هذه الجهود على مدى قرون وقد تنوعت في مناهجها ، فنجدها تارة تعتمد اعتمادا كبيرا على المعاجم العربية ، فتترجمها و تعيد ترتيبها، ونجدها تارة أخرى تحاول استدراك الناقص منها .

خاتمة :

بعد هذه الدراسة لمختلف أنواع المعاجم التي ظهرت عند غير العرب بداية من الامم القديمة وصولا للمستشرقين واهتمامهم الكبير باللغة العربية وتأليف المعاجم فيها ،وكذا ظهور المعاجم المهتمة باللغة العربية في الدول الأوربية ، بعد هذه الجولة نسجل النتائج الآتية :

1. إن الدافع الديني كان الأساس لظهور المعاجم عند الهنود ، وهو السبب الرئيس لاهتمامهم بلغتهم وتأليف معاجم تحافظ عليها من الزوال والاندثار.
2. لقد كان لدراسة الصينيين واطلاعهم على النصوص الهندية والأدب الهندي أثر كبير في ظهور المعاجم الصينية .
3. كان اليونانيون يعملون على تأليف معاجم كاملة تشمل شروح المفرجات وتعريفها ولاستشهاد عليها .
4. كان لاختلاط اليهود بالعرب ومحاكاتهم لهم الدور الأساس في عمل اليهود على تأليف معاجم للّغتهم التي خافوا اندثارها بسبب تعلم شعوبهم للغة العربية واستغنائهم عن العبرية .

5. ظهر نمط من التأليف المعجمي العربي ولكن ليس على يد العرب بل على يد المستشرقين الذين غاصوا في اللغة العربية وألفوا فيها معاجم عمادها المعاجم اللغوية المشهورة في عصرهم .بالإضافة لاقتراح بعض علمائهم لفكرة المعجم التاريخي للغة العربية .
6. ظهور المعجم العربي لم يكن فقط في المجتمعات العربية الإسلامية بل ظهرت معاجم كثيرة عربية في أوربا بسبب ما بلغت هذه من أهمية وقيمة .

4. قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد عبد الغفور عطار ،دت، مقدمة الصحاح ، مطابع الكتاب العربي ، مصر ، دط .
2-جون.أ.هيوود ، المعجمية العربية ، نشأتها و مكانتها في تاريخ المعجميات العام ، 2004،ترجمة عناد غزوان ، منشورات المجمع العلمي ، د ط.
3- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر،2003، عالم الكتب،القاهرة ،ط8 .
4- إبراهيم مدكور، بحوث وباحثون، الكتاب الأوّل، مجامع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامّة لشؤون المطبعة الأميرية القاهرة، 1963، ، ص 200 .
5- حسين نصار، المعجم العربي، نشأته وتطوره، 1988،دار مصر للطباعة، مصر، ط4، ج2 .
6- محمد خليل حلمي ، ، دراسات في اللغة والمعاجم،دارالنهضة العربية،بيروت ،1998،ط 1
7-إبراهيم بن مراد ، دراسات في المعجم العربي ، دراسات في المعجم العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1987 .

المجلات :

8- ندوة تاج العروس، دراسات حول معجم تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت ، 2003 ، ط1
9- عبد الرحمان حاج صالح ، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للّغة العربية ،1994، مجلة مجمع اللغة العربية،ع 98، دار الجمهورية للصحافة، القاهرةج3 .
10- خالد اليعبودي ، المعجم التاريخي للغة العبرية ، دراسة في البواعث و الخصائص ،2010، ندوة المعجم التاريخي للغة العربية ، فاس ، مبدع ، المغرب .